# اخلاق الرسول

## صلى الله عليه وسلم

للشيخ عبد المحسن العباد
المدرس في الجامعة

**الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى نحمده سبحانه ولانحصى ثناء عليه ارسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فارتضى له الاسلام دينا وجعل القرآن له خلقا امتن عليه بالصفات الفاضلة ثم اثنى عليه قائلا : (( وانك لعلى خلق عظيم . )) ونشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له له الخلق والامر وبيده الخير وهو على كل شيء قدير يعطى من يشاء بفضله ويمنع من يشاء بعدله قسم بينهم اخلاقهم كما قسم بينهم ارزاقهم فجعل نصيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من الرزق كفافا ومن الاخلاق اكملها واحسنها واوفاها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .**

ونشهد ان محمدا عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه بعثه الله الى أهل المعمورة ليجدد به صلة السماء بالارض فأنزل عليه الكتاب مصدقالما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، ختم به الرسل وختم بكتابه الكتب وجعله معجزته الخالدة فهدى الناس به الى الصراط المستقيم وحذرهم السبل التى تنتهى بهم الى الجحيم وأخرجهم بهمن الظلمات الى النور ومنوحشة القلوب وتقلباتها فى انواع المعبودات الى انسها وثباتها على عبادة فاطر السموات والارض قد أعظم الله عليه المنة وأتم به وعليه النعمة أذ بعثه ليتم مكارم الاخلاق .

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله واصحابه الذين اختارهم الله لصحبته ونشر سنته فجعلهم طليعة الاخيار وصفوة الابرار وعلى من سلك سبيلهم وسار على منوالهم مترسما خطاهم مقتفيا آثارهم عامر القلب بحبهم رطب اللسان بذكرهم بالجميل اللائق بهم بالثناء عليهم بما هم أهله والدعاء لهم



Made With Pdf Office

بما علمنا الله فى قوله « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا أنلكرؤوف رحيم . »

**أما بعد : فموضوع هذه المحاضرة موضوع حبيب الى النفوس المؤمنة هو « أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها » وكيفلا يكون حبيبا الى النفوس الحديث عن أخلاق نبى بعثه الله رحمة للعالمين نبى لانكون مؤمنين حتى يكون أحب الينا من انفسنا ووالدينا والناس اجمعينبى لايؤمن احدنا حتى يكون ــ هواه تبعا لماجاء به صلى الله عليه وسلم نبى رغم أنف ثم رغم أنف ثمرغم أنف من ذكر عنده فلم يصل عليه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الى يوم الدين » وهذا الموضوع العظيم الذى أخترته وآثرت الحديث فيه أعتذر مقدما عن تقصيرى فىتوفيته حقهوأعتقد انتوفيته حقه على الحقيقة نادر ان لم يكن متعذرا لكن كما يقولون .. ما لايدرك كثيره لايترك قليله .**

نعم ان جهد المقلاعرضه فى هذه السوق التى أتاحتلىرئاسة الجامعه الاسلامية بالمدينة المنورة أن أساهم فيها وأسأل الله العظيم رب كل شىء ومليكه أن يوفقنا جميعا للتأدب بآداب هذا النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه وان يحيينا على دين الاسلام الذى ارتضاه لنا دينا حتى يتوفانا عليه انه ولى ذلك والقادر عليه ولاحول ولا قوة الا به وقبل الشروع فى نفس الموضوع أرى أن أتحدثبين يديه اجمالا عن شدة الحاجة الىبعثته صلى الله عليهوسلم وأختيار الله له واعتزاز المشركين على ذلك والامتنان على الناس ببعثتهوضرب أمثلة للامور والخصال التى حصلت بين يدى بعثته توطئة وتمهيدا لها .

## شدة الحاجة الى بعثته صلى الله عليه وسلم :

ما أكثر نعم الله على عباده وما أحوجهم دائما وأبدا الى شكره سبحانه على هذه النعم التى أمتن عليهم بها فى قوله : « وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها وقوله ومابكم من نعمة فمن الله وأعظم نعمة أنعم بها على هذه الامة ان بعث فيها رسولها الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم ليرشد الى كل نافع فى الحاضر والمستقبل ويحذر من كل ضار فى العاجل والآجل ارسله على حين فترة من الرسل واندراس من الكتب فى وقت انتشرت فيه الضلالة وعمت فيه الجهالةوبلغت البشرية منتهى الانحطاط فى العقائد والعادات والاخلاق فانتشلهم به من هوة الضلالة ورفعهم الى صرح العلم والهداية فأزاح به عن النفوس تعلقها بغير خالقها وفاطرها سبحانه وتعالى ووجهها اليه بقلبها وقالبهاحتى لايكون فيها محل لغيره سبحانه بل تكون معمورة بحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والانابة اليه تستسلم لاوامره وترعوى عنزواجره ونواهيه.



Made With Pdf Office

**شيء من أمـــراض القلـــوب التى انتشرت قبيل بعثته صلى الله عليه وسلم ، وكيف عالجها صلوات الله وسلامه عليه .**

**خلق الله الانسان ــ مركبا من شيئين بدون وروح وجعل لكل منهما مايغذيه وينميه وأرشد الى طرق العلاج التى يعالج بها كل منهما عندما يطرأ عليه مرض أوسقم فقد اغدق نعمه على عباده وقال : هو الذى خلـــق لكم مافى الارض جميعا . أما الروح فقد استحكمت أمراضها قبل بعثته صلوات الله وسلامه عليه حتى كانت من قبيل الاموات فاحياها الله بمابعث به نبيه صلى الله عليه وسلم من الهدى والنور : أو من كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها . وارشد سبحانه الى أن شفاء أمراضها وجلاء اسقامها انما هو بما أنزل الله علـــى محمد صلى الله عليه وسلـــم فقال سبحانه وتعالى (( وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء . ))**

نعم لقد بعث الله نبيـــه صلى الله عليه وسلم فى مجتمع انتشرت فيـــه الامراض القلبية على اختلافها وتنوعها وأعظم هذه الامراض على الاطلاق تعلق القلوب بغير الله وصرف خالص حقه سبحانه الى غيره من مخلوقاتـــه فعـــالج صـــلى الله عليـــه وسلم هذا المرض الخطير والـــداء العضال باستئصاله وتطهير القلوب من أدرانه أولاثم شغلها وعمارتـــه بحب الله وخوفه ورجائه وافـــراده بالعبادة وحده لاشريك له لكونـــه سبحانه المتفرد بالخلق والايجاد فهو بحق المستحق لان يعبد وحده لايعبد معه غيره كائناماكان وقدلقى صلوات الله وسلامه عليه من المشركين فى هذا السبيل الوانا مختلفة من الايذاء فصبر حتى ظفر بنصر الله وتأييده وكانـــت العاقبه له صلى الله عليـــه وسلـــم وأنصاره « والعزة لله ولرسولـــــه وللمؤمنين والعاقبة للمتقين والعاقبه للتقوى ــ ولقى ايضامنهم الوانا من المعارضة والتعنت أوضحـــها الله فى كتابه العزيز فى سورة الحجر والاسراء وغيرهما من سور القرآن ومن ذلك ماذكره الله عنهم فى سورة ص اجعل الآلهة الهاًواحدا ان هذا لشيىء عجاب وانطلق الملأمنهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هـــذا لشـــىء يراد ماسمعنا بهذا فى الملة الاخرة أن هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا . »

وقد حملهم على هذه المقالة الكبـــر والحسد ومثل هذه المقالة التى حكاها الله عن كفار قريش ماذكره الله سبحانه فى سورة القمر عن قوم صالح بقوله « كذبت ثمود بالنذر ــ فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضـــلال وسعر أالقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر » وأبرز الطرق التى عالج بها صلى الله عليه وسلم ذلـــك الداء الذى هو اعظم الادواء علـــى الاطلاق الزام الكفار بأن يفردوا الله فى العبادة لما كانوا معترفين بأنفـــراده



Made With Pdf Office

سبحانه بالربوبية واكتفى بالتمثيل لذلك بما ذكره الله سبحانه فى سورة النمل من الآيات التى اوضحت تلك الطريقة غاية الايضاح وذلك قوله سبحانه « آلله خير ام ما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أاله مع الله بل أكثرهم لايعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته أاله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وبما ذكره الله سبحانه فى سورة الحج من التصوير العجيب والتمثيل البليغ لعجز المعبودات التى اشركوها مع الله حيث قال سبحانه يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز .. »

**ومن الامراض التى عالجها صلى الله عليه وسلم بحكمته الظلم والجور وازدراء المساكين والتفاخر بالاحساب والانساب فنشر فيهم العدل وعمهم الاطمئنان والاستقرار وصار مقياس الفضل بينهم تقوى الله بدلا من اعتبار ذلك بالحسب والنسب وقد أعلنها صلى الله عليه وسلم صريحة فى حجة الوداع فى اعظم جمع شاهده عليه الصلاة والسم حيث قال « ألا لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى الناس لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم » اوكما قال ولما بلغه صلى الله عليه وسلم شأن المخزومية التى سرقت أمر بقطع يدها فراجعه أسامه بنزيد فأنكر صلى الله عليه وسلم عليه ذلك وقال صلى الله عليه وسلم المقالة التى برهن بها عن مدى تحقيق العدالة « وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » وقد أشار صلى الله عليه وسلم فى جوابه لأسامة بن زيد بأن العدول عن العدل سبب هلاك الامم المتقدمة حيث قال « انماهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذاسرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ..**

ولما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم حنين وأكثر العطاء للمؤلفة قلوبهم وجد الانصار رضى الله عنهم فى انفسهم شيئا اذ لم يصبهم ما اصاب الناس فأتى اليهم صلى الله عليه وسلم وقال ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم بى وعالة فأغناكم الله بى وقد ذكرهم الله سبحانه فى كتابه العزيز بهذه النعمة وأنها من



Made With Pdf Office

أعظم النعم عليهم فقال « وأعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا وأذكـــرو قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وقال سبحانه وان يريدوا أن يخدعوك فأن حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لوأنفقت مافى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم أنه عزيز حكيـــم

هذه بعض الامراض التى انتشرت قبل بعثته صلى الله عليه وسلم من الله سبحانه وتعالى على البشرية بارسال رسوله الكريم محمدصلى الله عليـــه وسلم لينقلها من ذل عبادة المخلوق الى عز طاعة الخالق جل وعلا من الظلم والجور وسفك الدماء الى ساحـــة العدل والامن والاطمئنان من الفرقة والاختلاف الى الاجتماع والائتلاف من التعاون على الاثم والعدوان الـــى التعاون على البر والتقوى من الامر بالمنكر والنهى عن المعروف الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من الغش والخيانة الى النصح والامانة مـــن الجزع والهلع والاعتراض على قضاء الله الى الصبر والثبات والرضى بما قدره الله وقضاه وفى الجملة: من كل ضار عاجلا وآجلا الى كل نافع فى الحـــال والمآل وقد ارشد الله سبحانه الـــى شكره على ذلك بعبادته وحده لاشريك له فى قوله سبحانه « لأ يلاف قريش أيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف . »

**أختيار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم :**

يقول الله سبحانه : « وربك يخلق مايشاء ويختار » هذه الآية الكريمة تدل على أن الله سبحانه وتعالى منفرد بالخلق يقول للشيىء الذى أراده كن فيكون وتدل أيضا على ان تلـــك المخلوقات التى أوجدها من العـــدم لم يسوها اختار منها ما شاء وله الحكمة البالغة فخصه بالتفضيل فقد اختار من أرضه مكة حرسها الله فجعلها مقر بيته الحرام من دخله كان آمنـــا وصرف قلوب الناس اليه واوجب على المستطيع منهم حجه وحرم صيـــده وقطع شـــجره وضاعف الاعمـــال الصالحة فيه وحذر من الخروج عن طاعته سبحانه وأشار الى عقوبة ارادة السوء فى الحرم بقوله سبحانه « ومن يرد فيه بألحاد بظلم نذقه من عذاب أليم . » **ويلى ذلك مهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم هذه المدينـــة المباركة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام . » واختار سبحانه من الشهور شهر رمضان ففضله على سائر الشهور وأختار منه ليلة القدر ففضلها على سائر الليالى واختـــار من الايام يوم عرفه فجعله أفضل الايام واختار من ايام الاسبوع ــ يوم الجمعة فجعله أفضلها واختار مـــن الملائكة جبريل واسرافيل وميكائيـــل فوكلهم بأسباب الحياة وأختار مـــن البشر انبياءه ورسله صـــلوات الله**



Made With Pdf Office

**وسلامه عليهم أجمعين ففضلهم على غيرهم وجعل أفضلهم أولـــى العزم منهم وأختار الخليلين ابراهيم ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهما فجعلهما أفضلهم وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الخليلين وأمته خير الامم فهو عليه الصلاة والسلام امام المتقين وسيد المرسلين وخليل رب العالمين وخاتم النبيين** أقام الله به الحجة على الثقلين الجن والانس وأول قبر ينشق عند النفخ فى الصور قبره ولا يدخل الجنة أحـــد قبله وأختصه سبحانه بالمقام المحمود الذى يحمده فيـــــه الاولون والاخرون وهو الشفاعـــة العظمى فى فصل القضاء التى يتخلى عنها اولو العز مهن الرسل كل واحد يقول نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى حتى تنتهى اليه صلوات الله وسلامه عليه فيقول أنا لها ثم يشفع فيشفعه الله وصدق الله العظيم حيث يقول « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » وقـــد أشار سبحانه فى كتابه العزيز الى اختياره من يشاء بقوله سبحانه « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير » وقد ثبت فى صحيح مسلم وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم وأصطفانى من بنى هاشم» فهو صلى الله عليه وسلم بنص هذا الحديث الشريف خلاصة خلاصـــــة خلاصة باعتبار شرف النسب كما كان خلاصة باعتبار الفضل وعلو المنزلة عند الله .

## اعتراض المشركين على اختيار الله له صلى الله عليه وسلم

ولما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ليهديهم به الى الصراط المستقيم قابله المشركون بما يستطيعونه من الاذى والمناوأة وتأليب الناس عليه وتحذيرهم منه فوصفوه بأشنع الاوصاف فقالوا انه ساحر وقالوا أخرى انه كاهن وقالوا مجنون هذا وهم أعلم الناس بماضيه المشرف الوضاء ولكن الذى حملهم على ذلك الكبر والحسد فقد أخبر الله عنهم فى كتابه العزيز انهم أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من أحدى الامم فلما جاءهم نذيـــر ما زادهم الا نفورا استكبارافى الارض ومكر السيء ولا يحيق الكر السيء الا بأهله وقال سبحانه وتعالى مخبرا عنهم : « وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب . » الى ان قال مشيرا الى حسدهم له صلوات الله وسلامه عليه أأنزل الذكر عليه من بيننا . » وقال سبحانـــه وتعالى : « ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وأنا به كافرون » ثم قال :مخبرا عن اعتراضهم على الله فى اختياره لهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . » فأنكر عليهم ذلك وبين أن الامر أمره والخلق خلقه والفضل فضله يؤتيه من يشاء



Made With Pdf Office

فهو أعلم حيث يجعل رسالته فقال سبحانه أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . » ونظير هذا قوله سبحانه « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » وقال سبحانه : « اذاتتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه — الى ان قال — قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولابكم » وقال : أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين . »

**وقد روى الحاكم بسند على شرط الشيخين ان ابا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لانكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون. وروى ان الاخنس بن شريق دخل على ابى جهل فقال ياأبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا من قريش غيرى وغيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهبت بنوقصى بالسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ، وقال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فأعطينا حتى اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منانبى ينزل عليه الوحى من السماء فمتى ندرك هذه والله لانؤمن به ولا نصدقه .**

وهكذا يبلغ الكبروالحسد بهؤلاء القوم الذين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة حملهم ذلك على تجاهل الحقيقة وابداء خلاف المستقر فى القلوب يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم متبعين فى ذلك أمامهم فى الضلال والحسد ابليس اللعين حيث « فسق عن أمر ربه له بالسجود لآدم كبرا وحسدا استنادا منه لعنه الله الى انه أفضل منه على زعمه لكونه خلق من نار وآدم عليه الصلاة والسلام خلق من طين .. »

## امتنان الله سبحانه على الثقلين برسالته صلى الله عليه وسلم

من رحمة الله سبحانه بعباده ان ارسل فيهم رسله يبشرون وينذرون كلما ذهب نبى خلفه نبى حتى ختمهم نبى الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم . وفى ذلك يقول سبحانه ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » . ولقد اختار منهم سيدهم وامامهم — فجعله خاتم النبيين وأختصه بخصائص ومزايا لم يشركه فيها أحد منهم كما أختص أمته بخصائص ليست لغيرها من الامم السالفة ومن تلك المزايا



Made With Pdf Office

التى أمتاز بها على غيره من المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين أن بعثه الى الاسود والاحمر بل الى الجن والانس جميعا كما قال الله سبحانه عن الجن الذين استمعوا لقراءته صلى الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم منذرين « يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا برسوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه وليا أولئك فى ضلال مبين وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته أعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى فذكر من بينها ( وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ) وفى ذلك يقول سبحانه « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . » ويقول : « قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ». وقد أوضح ذلك صلوات الله وسلامه عليه فى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحة حيث قال : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولا يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من اصحاب النار .. » قال : سعيد بن جبير رحمه الله مصداق ذلك فى كتاب الله عز وجل قال الله سبحانه « ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده . » **ولا شك ان أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الارض هى ارسال هذا النبى الكريم الذى أكمل الله به الدين وجعله حجة على الناس أجمعين وقد أخبر الله فى كتابه العزيز عن ابراهيم بأدعية من بينها « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم . » وقد أجاب الله دعاءهما فبعث فى الاميين وفى غيرهم محمدا صلى الله عليه وسلم أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وتلك النعمة العظمى والمنة الجسيمة نوه الله بها فى معرض الثناء على نفسه سبحانه فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . »** ومنها قوله تعالى : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . » ومنها قوله : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون . » ومنها قوله سبحانه : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. وانما كان ارساله صلى الله عليه وسلم الى الناس أعظم منة أمتن بها على عباده لان فى ذلك تخليص من وفقه الله وهداه منهم من العذاب السرمدى بسبب



Made With Pdf Office

الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والابتعاد عن الشرك الذى لا يغفره الله كما قال تعالى : « ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وقال : « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار .

## التمهيد لبعثته صلى الله عليه وسلم

ومن حكمة الله وفضله ان هيأ لنبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه جميع أسباب الشرف والرفعة وعلو المنزلة ووفر فيه جميع الخصال التى تؤهله للقيام بأعباء الرسالة العظمى التى اصطفاه واختاره لها صلوات الله وسلامه عليه وفيما يلى اذكر على سبيل المثال بعض تلك الاسباب والخصال وأبين كيف كانت توطئة وتقدمة لبعثته صلى الله عليه وسلم :

أولا : ان الله سبحانه جعله عريق النسب كريم المنبت اصطفاهمن اشرف قبائل العرب قبيلة قريش التى شهد لها غيرها بالسيادة والقيادة وهذه سنة الله فى رسله كما جاء ذلك فى سؤال هرقل ملك الروم لابى سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نسبه فيكم قال ابو سفيان هو فينا ذو نسب ثم قال هرقل عنذ ذلك وكذلك الرسل تبعث فىنسب قومها وانما كانت هذه سنة الله فى رسله ليسد على أعدائهم باب القدح فيهم والتنقيص لهم فلا يجد أعداؤهم سبيلا الى الصاق العيوب بهم .

ثانيا : انه صلى الله عليه وسلم نشأ فقيرا يتيما فى كفالة جده عبد المطلب ثم عمه أبى طالب وذلك من أسباب التواضع والتحلى بالصفات الحميدة والبعد عن الصفات الذميمة كالكبر والظلم وغير ذلك وقد ذكر الله ذلك منوها بتفضله على نبيه صلى الله عليه وسلم بايوائه واغنائه وهدايته حيث قال سبحانه : « ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى . » ثم أرشده الى شكر هذه النعمة بأن يعطف على اليتامى والمساكين ويتحدث بنعمة الله عليه قال : « فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث وهذه تربية الهية لنبى الرحمة صلى الله عليه وسلم ذكرها الله فى كتابه العزيز تنبيها لعباده المؤمنين بأن يحملوا أنفسهم على تلك الصفات الحميدة وغيرها شكرا لله سبحانهعلى توفيقه لهم بالهداية بعد الضلالة ـ والغنى بعد الفقر وغير ذلك من نعمه عليهم والمعنى لا تقهر اليتيم فقد كنت يتيما تكره أن تقهر ولا تنهر الفقير فقد كنت فقيرا تكره ان تنهر ولا شك ان تذكير الانسان بنعمة الله عليه من أقوى الاسباب فى الاقدام على الخير والاحجام عن الشر لمن وفقه الله ..

**ثالثا : ان الله سبحانه وتعالى نشأه نشأة صالحة وأنبته نباتا حسنا متحليا بكل خلق كريم بعيدا عن كل وصف ذميم شهد له بذلك موالوه**



Made With Pdf Office

**ومعادوه ولكن من لم يشأ الله هدايته تعامى عن هذا كله وأظهر خلاف ما يبطنه كبرا وحسدا وفى توفيق الله لنبيه صلى الله عليه وسلم للاتصاف بالصفات النبيلة والسلامة من الاخلاق الرذيلة قطع لالسنة اعدائه واسكات لهم عن ان يعيروه بأدنى عيب أو يصفوه بشيء من النقص ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يغدر قال : لا ولم يستطع مع شدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت أن يقول أكثر من قوله بعد نفى الغدر عنه (( ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . ))**

قال : « ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة » وقد تحرز من الكذب خوفا من ملك الروم فأعداؤه صلى الله عليه وسلم لا يستطيعون وصفه حقيقة بوصف معيب أما الكذب والافتراء عليه صلى الله عليه وسلم فقد قالوا عنه انه ساحر وقالوا عنه شاعر وقالوا عنه انه كاهن وغير ذلك وقد صانه الله سبحانه من ذلك الذى ألصقوه به ومن كل عيب وأنكر على المشركين افتراءهم وكذبهم عليه وأخبر بأنه من ذلك براء فقال سبحانه فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين وقال وماعلمناه الشعر وماينبغى له أن هوالا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . » وقال تعالى « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . »

رابعا : انه صلى الله عليه وسلم نشأ اميا بين اميين لايقرأ ولايكتب ثم جاء من الله بهذا القرآن الذى لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله لايأتون بذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وفى نشأته صلى الله عليه وسلم على هذه الصفه قطع للطريق التى ينفذمنها الكفار الى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم .. فيما جاء به عن الله وانه من اساطير الاولين قرأها أوكتبها لوكان كذلك وقد اوضح الله ذلك بقوله «وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك » ثم اشار الى حصول الريبه من اعدائه لو كان قارئا كاتبا بقوله :« اذاً لارتاب المبطلون » وتلك الطريق التى قطعت عليهم بجعله صلى الله عليه وسلم أميا لايقرأ ولايكتب سلكوها كذبا وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم التام ببعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقدأخبر الله عنهم أنهم قالوا ان مايعلمه بشر ويأبى الله الا ان يتم نوره ويظهر دينه فيجيبهم بان ــ لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا الذى جاءهم به لسان عربى مبين . ولهذا نجد الله سبحانه وتعالى عند انكاره على قومه صلى الله عليه وسلم مايقومون به من المعارضة والمناوأة له صلى الله عليه وسلم يلفت انظارهم الى ماضيه



Made With Pdf Office

المشرق الوضاء ويذكرهم بعلمهم ومعرفتهم التامة لحركاته وسكناته ومدخله ومخرجه فيقول سبحانه : « أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون » ويقول « اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا أئت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا مايوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم » ثم انه تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بأنه ليس له الا التبليغ عن الله وأنه لوشاء الله ماحصلت منه صلى الله عليه وسلم تلاوة ولاحصل لهم علم بذلك فقال : قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولاادراكم به » ثم ذكرهم بماضيه قبل انزال القرآن عليه وما اتصف به من جميل الصفات وأنه قد بقى فيهم قبل ان يبعثه الله اربعين سنه ملازما لاسباب الرفعة بعيدا عن اسباب الضعة والهوان فقال : « فقد لبثت فيكم عمرا من قبله . » انكر عليهم وصفهم له بالكذب والافتراء مع انهم أعلم الناس به وان ذلك مخالف للفطر والعقول السليمة فقال : « أفلا تعقلون » ثم أخبر بأنه لا أحد اشد ظلما واكبر جريمة من اثنين المفترى على الله والمكذب بما جاء عن الله فقال : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لايفلح المجرمون ..

خامسا : — ومن الامور التى حصلت بين يدى بعثته صلى الله عليه وسلم توطئة وتمهيدا لها الرؤيا الصالحة فى النوم فكان صلى الله عليه وسلم لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى وغيره .

سادسا : — أنه صلى الله عليه وسلم رعى الغنم بمكة وفى ذلك تمهيد وتهيئة لارساله الى الناس كافه ليرشدهم الى ماينفعهم فى دنياهم واخراهم وتحذيرهم مما يعود عليهم بالاضرار العاجلة والآجلة وانما كان رعيه الغنم بمكة توطئة وتقدمة لبعثته صلى الله عليه وسلم لأن هذا العمل مدعاة الى التحلى بجميل الصفات كالتواضع والسكينة والوقار مع مافيه من اشتغال الراعى بالرعية وبذله الاسباب التى تؤدى الى سلامتها وقوتها فيعتنى بها ويرتاد لها المراعى الخصبة ويبتعد بها عن الاراضى المجدبة ويحميها من الذئاب ويسلك بها الطرق السهلة ويحيد بها عن السبل ذات الشدة والوعورة وهذه سنة الله فى رسله كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ولله الحكمة البالغة فى ذلك فمزاولة مثل هذا العمل فيه ترويض للنفس وتهيئة لها للقيام باعباء الرسالة فهو بلا شك درس عملى لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم يكسبهم مرونة وخبرة لينتقلوا من تربية الحيوان الى تربية بنى الانسان ..



Made With Pdf Office

## أخلاقه صلى الله عليه وسلم

### تعريف الخلق:

الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية قاله ابن الأثير فى غريب الحديث وفى الاصطلاح يطلق اطلاقين أحدهما أعم من الثانى فيطلق على الصفة التى تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم ويطلق على التمسك بأحكام الشرع وآدابه فعلا وتركاومن الاول قوله صلى الله عليه وسلم : لأشج عبد القيس ان فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والاناة قال يارسول الله أخلقين ـ تخلقت بهما أم جبلت عليهما قال بل جبلت عليهما قال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ومن الثانى قوله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق وقول عائشة رضى الله عنها فى تفسير قوله تعالى ـ وانلك « لعلى خلق عظيم » كان خلقه القرآن .

هذا تعريف الخلق فى اللغة والاصطلاح ننتقل بعده الى الحديث عن اخلاقه الفاضلة وسجاياه الحميدة فى جميع مراحل حياته صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا اجتمع فيه من أوصاف المدح والثناء ماتفرق فى غيره قد صانه الله سبحانه وحفظه من ادنى وصف يعاب صاحبه كل ـ ذلك حصل له من ربه فضلا ومنه قطعا لألسنة أعدائه الذين يتربصون به ويقفون فى طريق دعوته مؤذين له محذرين منه أحب شيىء اليهم تحصيل شىء يعيبونه به وانى لهم ذلك .

**فقد نشأ صلى الله عليه وسلم فى أول أمره الى آخر لحظة من لحظاته متحليا بكل خلق كريم مبتعدا عن كل وصف ذميم فهو اعلم الناس وأنصحهم وأفصحهم لسانا وأقواهم بياناوأكثرهم حياء يضرب به المثل فى الامانة والصدق والعفاف . أدبه الله فأحسن تأديبه فكان ارجح الناس عقلا وأكثرهم أدبا وأوفرهم حلما وأكملهم قوة وشجاعة وشفقة وأكرمهم نفسا وأعلاهم منزلة وبالجملة كل خلق محمود يليق بالانسان فله صلى اللهعليه وسلمنه القسط الاكبر والحظ الاوفروكلوصف مذموم فهو اسلم الناس منه وأبعدهم عنه شهد له بذلك العدو والصديق .**

وفيما يلى أورد بعض الشهادات التى شهد له بها الموالونله والمعادون الداله دلالة بينةعلى تمسكه بالاخلاق الحسنة قبل ان يبعثه الله تعالى وذلك معلوم من الدين بالضرورة :

### ١ ـ شهادة خديجةرضىاللهعنها:

لماأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم فى غار حراء لاول مرة ورجع الى خديجة أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسى فقالت له رضىالله عنها كلا والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . رواه البخارى .



Made With Pdf Office

**٢ ــ شهادة كفارقريش عندبنائهم الكعبة :**

ولما قامت قريش ببناء الكعبة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم تنازعوا فى رفع الحجر الاسود الى مكانه واتفقوا على تحكيم أول من يدخل عليهم الباب فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا جميعا وقالوا جاء الامين جاء محمد . وقد كانوا يلقبونه بلقب الامين لما يعلمونه من أمانته صلوات الله وسلامه عليه ..

**٣ــ شهادة كفار قريش بصدقه صلى الله عليه وسلم :**

ثبت فى صحيح البخارى انه صلى الله عليه وسلم لمانزل عليه « وأنذر عشيرتك الاقربين » صعد على الصفا فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدى ــ لبطون قريش ــ حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج أرسل رسولا لينظرماهو فجاء ابولهب وقريش فقال أرأيتم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريدان تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا نعم ماجربنا عليك الا صدقا « قال : فانى نذيرلكم بين يدى عذاب شديد » فقال : أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا ..

**٤ ــ شهادة ابى جهل بصدقه صلى الله عليه وسلم :**

تقدم الحديث الذى رواه الحاكم بسند على شرط ــ الشيخين ان أبا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم أنا لانكذبك لكن نكذب ماجئت به فأنزل الله « قد نعلم أنه ليحزنك الذين يقولون فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . »

ولما قال له الاخنس بن شريق يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فقال ويحك والله أن محمدا صادق وماكذب محمد قط الخ ..

**٥ ــ شهادة ابى سفيان بين يدى هرقل ملك الروم بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفائه:**

**فقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنه أن أباسفيان ابن حرب أخبره أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا ذهبوا الى الشام لأجل التجارة فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه بأيليا فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم انه نبى فقال : أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسبا فقال أدنوه منى وقربوا أصحابه فأجعلوهم عند ظهره ثم قال : لترجمانه قل لهم انى سائل عن هذا الرجل فان ــ كذبنى فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عليه ثم كان أول ماسألنى عنه أن قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذونسب قال فهل قال هذا القول احد منكم قط قبله قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا قال فأشراف الناس**



Made With Pdf Office

يتبعونه أمضعفاؤهم فقلتبلضعفاؤهم قال أيزيدون أم ينقصون قلتبليزيدون قال فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه فى مدة لاندرى ماهو فاعل فيها قال ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم أياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه قال بما ذا يأمركم قلت يقول أعبدوا الله وحده ولاتشركوابه شيئا وأتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله قط فذكرت ان لا قلتفلو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتى بقول قيل قبله وسألتك هل كان فى آبائه منملك فذكرت ان لا قلت فلو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك ابيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت انلاقلت لميكن ليذر الكذب علىالناس ويكذب علىالله وسألتك أشراف الناس أتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت انهم يزيدون وكذلك أمر الأيمان حتى يتم وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا وكذلك الأيمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل يغدر فذكرت انلاوكذلك الرسللاتغدر وسألتك بماذا يأمركم فذكرت انه يأمركم أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فأن كان مانقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن انه منكم فلو انى اعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقاءهولوكنت عنده لغسلت عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به اليه مع دحية بن خليفة الكلبى ـــ فقرأه قال أبو سفيان فلما قال ماقال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وأرتفعت الاصوات فأخرجنا فقلت لاصحابى حين اخرجنا : لقد امر ابن ابى كبشة انه ليخافه ملك بنى الاصفر فمازلت موقنانأنه سيظهر حتى ادخل الله على الاسلام ..

ففى هذه القضية آيات بينات ودلالات واضحات على نبوته صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم صادق فيما جاء به ومحل الشاهد من القصة شهادة ابى سفيان بن حرب وهو من اشد اعدائه فى ذلك الوقت على ـــ أنصاف الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله بالصدق وأنهم لايتهمونه بالكذب وبالوفاء وانه لايغدر .



Made With Pdf Office

## ٦ ــ شهادة السائب المخزومى له صلى الله عليه وسلم بحسن المعاملة والرفق قبل النبوة :

روى أبو داود وغيره ان السائب المخزومى كان شريك النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فجاء يوم الفتح فقال مرحبا بأخى وشريكى لا تدارى ولاتمارى وفى لفظ أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم كنت شريكى فى الجاهلية فكنت خير شريك لاتدارينى ولاتمارينى وفى لفظ كنت شريكى ونعم الشريك كنت لاتدارى ولاتمارى .

## ٧ ــ شهادة عبد الله بن سلام رضى الله عنه بصدقه صلى الله عليه وسلم :

روى أحمد واصحاب السنن عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه قال لماقدم النبى صلى‌الله عليه وسلم المدينة كنت ممن أنجفل فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه‌ليس بوجه‌كذاب فسمعته يقول أفشوا‌السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » .

## ــ٨ ــ شهادة مكرز بن حفص بن الاحنف له صلى الله عليه وسلم بالوفاء فى جميع مراحل حياته :

كان رسول الله صلى‌الله عليه‌وسلم عام الحديبية قد ابرم صلحا بينه وبين قريش على ان يرجع ويعتمر من العام المقبل ومن الشروط التى اشترطتها قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة بسلاح الراكب فقط « السيوف مغمدة » فلما قدم‌صلى الله‌عليه وسلم فى عمرة القضاء استعد بالخيل والسلاح لايدخل بها الحرم وانما لتكون فى متناول يده لونكثت قريش وعندما قرب صلى الله عليه وسلم من الحرم بعث بها الى يأجج وكان خبر ذلك السلاح قد بلغ قريشا فبعثت مكرز بن حفص الأ حنف‌فى نفر من قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد ماعرفت صغيرا ولاكبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم ان لا تدخل الا بسلاح المسافر فقال صلى الله عليه وسلم انى لاأدخل‌عليهم بالسلاح وقد بعثنا به الى‌يأجج فقال مكرز بهذا عرفناك بالبر والوفاء .

## « أخلاقه صلى الله عليه وسلم » فى القرآن

تفضل الله تعالى على خليله محمد صلى الله عليه وسلم بتوفيقه للاتصاف بمكارم الاخلاق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم أثنى عليه ونوه بذكر مايتحلى به من جميل الصفات فى آيات كثيرة من كتاب الله العزيز أقتصر على أيراد بعضها من ذلك قوله تعالى «وانك لعلى‌خلق عظيم » فقد اخبر سبحانه فى هذه الآية الكريمة عما كان عليه المصطفى من اخلاق فاضلة ووصف خلقه صلى الله عليه وسلم بأنه عظيم واكد ذلك



Made With Pdf Office

بثلاثة أشياء بالاقسام عليه بالقلم ومايسطرون وتصديره بأن وادخال اللام على الخبر وكلها من ـ أدوات تأكيد الكلام وذلك الخلق العظيم الذى كان صلى الله عليه وسلم ورد تفسيره عن السلف الصالح بعبارات متقاربه ففسره ابن عباس رضى الله عنه بأن الدين العظيم وهو دين الاسلام وبهذا التفسير فسره أيضا مجاهد والسدى والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم وفسره الحسن بأنه آداب القرآن وفى الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كانخلقه القرآن ومعنى ذلك أن امتثال ماأمره الله به واجتناب ما نهاه عنه فى القرآن وصار له خلقا وسجيه وقد اشارت عائشة رضى الله عنها الىمايوضح هذا المعنى فى حديث آخر متفق على صحته وهو أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى ركوعه « سبحانلك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآنأىكان يدعوبهذا الدعاء امتثالا لما امره الله به فى سورة النصر فى قوله : « فسبح بحمد ربك واستغفره » ..

وقد نوه سبحانه بما جبل نبيه عليه ـ صلى اله عليه وسلم ـ من الرحمة والرأفة بالمؤمنين والحرص على ما ينفعهم فى دينهم وأخراهم والتألم من كل مايشق عليهم بقوله سبحانه ممتنا على المؤمنين بارساله « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » وقال : الذين يتبعون الرسول النبى الأمىالذى يجدونهمكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، وقال وأعلموا أن فيكم رسول الله لويطيعكمفىكثير منالامر لعنتم » . واشار سبحانه الى ما اتصف به صلى الله عليه وسلم منااللطف والرفق بأمته بقوله تعالى « فبمارحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظا غليظ القلب لأنفضوا من حولك . »

**أما ما أتصف به صلى الله عليه وسلم من النصح والامانة والقيام بأداء الرسالة على الوجه الذى اراده الله فقد ذكره سبحانه بقوله: (( والنجماذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى . )) ويقول تعالى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (( وما هو على الغيب بظنين )) وفيها قراءتان ـ بالظاء ـ والمراد به المتهم وبالضاد والمراد به البخيل وكلا هذين منفى عنه صلى الله عليه وسلم فليس هو ـ متهم بكتمان ما ارسله الله به وليس ببخيل بما أنزل الله عليه بل يبذله لكل احد . ))**

**أخلاقه صلى الله عليه وسلم فى سنته وأقوال صحابتهرضى الله عنهم :**

كان رسول الله صلىالله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله بالرسالة العظمى فى الذروة العليا من الاخلاق الحسنه



Made With Pdf Office

صدقا وأمانة وكرما وحلما وشجاعة وعفة وقناعة وغير ذلك من الصفات التى يحظى بالاجلال والاكبار من حصل على واحدة منها فضلا عمن جمعته له وتوفرت فيه ..

ولما بعثه الله سبحانه بالنور والهدى الى الثقلين الجن والانس زاده الله قوة فى هذه الخصال الحميده الى قوته حتى بلغ الحد الاعلى الذى يمكن ان يصل اليه انسان مصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « انما بعثت لأ تم صالح الاخلاق وقد نوه الله سبحانه بتفضله وامتنانه على نبيه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم فى آيات كثيرة كقوله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ومايضلون الا انفسهم ومايضرونك من شيىء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » وقوله : « وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى مالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الارض ألآ الى تصير الامور . » وقوله « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا ».

**وقد اختار سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم أصحابا هم خير هذه الامة المحمدية التى هى خير الامم وقفوا حياتهم فى سبيل تبليغ دعوته وحفظ سنته تحقيقا لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ورثوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الحق ورثوه لمن جاء بعدهم حتى هيأ الله له رجالا قاموا بتدوينه منهم بل على رأسهم الامامان الجليلان البخارى ومسلم وغيرهما من المحدثين فقد افنوا اعمارهم جزاهم الله خير الجزاء فى تقييد تلك الدرر الثمينة التى ورثوها عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة السلاسل الذهبية المتصلة بأمثال مالك ونافع وشعبة واحمد وعلى بن المدينى وغيرهم من خيار هذه الامة وهذه الدرر الثمينة التى توارثوها ونعم الارث هى تشمل اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته وبيان خلقه واخلاقه ولهذا يعرف المحدثون الحديث بأنه ما اضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير او وصف خلقى او خلقى .**

ولقد اعتنى هؤلاء الورثة الكرام بتدوين ما جاءهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم على سبيل العموم وبما يتعلق بأخلاقه ومزاياه على سبيل الخصوص فمنهم من افرد ذلك بالتأليف ومنهم من عقد له ابوابا خاصة ضمن المؤلفات العامة اورد فيها ما يتصل بخوفه صلى الله عليه وسلم ورجائه وخشيته لربه وجوده وكرمه وايثاره وحيائه ووفائه وصدقه



Made With Pdf Office

وامانته واخلاصه وشكره وصبره وحلمه وكثرة احتماله ورفقه بأمته وحرصه على التيسير عليها وعفوه وشجاعته وتواضعه وعدله وزهده وقناعته وصلته لرحمه وكثرة تبسمه وعفته وغيرته الى غير ذلك من آحاد حسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

## تفصيل القول فى أخلاقه صلى الله عليه وسلم :

وهذه الاخلاق التى اشرنا الى بعض آحادها يحتاج تفصيلها وبسط القول فيها الى عدة محاضرات اما المحاضرة الواحدة فلا تكفى الا للاشارة الى بعض تلك الاخلاق والمزايا الحميدة التى أوتيها صلى الله عليه وسلم فأجدنى مضطرا الى الاقتضاب والايجاز حسب الامكان ..

## ١ ـ جوده وكرمه صلى الله عليه وسلم :

وقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه فى خلق الجود والكرم مبلغا فى خلق الجود والكرم مبلغا لم يبلغه غيره وصل فيه الى الغاية التى ينتهى عندها الكمال الانسانى ومن توفيق الله له صلى الله عليه وسلم ان جعل جوده يتضاعف فى الازمنة الفاضلة يقول ابن عباس رضى الله عنه : فى الحديث الصحيح « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير وكان اجود مايكون فى شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة جاد بنفسه فى سبيل الله فكسرت رباعيته وشج وجهه وسال الدم منه صلوات الله وسلامه عليه والجود بالنفس اقصى غاية الجود وجاد بجاهه ومن امثلة ذلك شفاعته صلى الله عليه وسلم لمغيث زوج بريرة رضى الله عنهما لما عتقت واختارت فراقه أشار عليها ان تبقى فى عصمته رحمة منه صلى الله عليه وسلم بزوجها مغيث واخص الامثلة فى ذلك ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من شفاعته فى اهل الموقف التى يتخلى عنها اولو العزم من الرسل فتنتهى اليه فيقول أنا لها صلى الله عليه وسلم وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لكل نبى دعوة مستجابة قد دعا بها فاستجيب له فجعلت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة » وجاد صلى الله عليه وسلم بما اعطاه الله من المال فما سئل صلى الله عليه وسلم شيئا من الدنيا قط فقال لا ولقد جاءت اليه صلى الله عليه وسلم امرأة ببردة منسوجة فقالت نسجتها بيدى لأكسوكها فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها ولبسها فقال له رجل من الصحابة أكسينها يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم نعم فدخل منزله فطواها وبعث بها اليه فقال له بعض الصحابة ما احسنت لبسها رسول الله صلى الله عليه



Made With Pdf Office

وسلم محتاجا اليها ثم سأته وعلمت أنه لايرد سائلا فقال انى والله ما سألته لالبسها انما سألته لتكون كفنى قال سهل بن سعد رضى الله عنه فكانت كفنه ، هذا مثل من امثال اتصافه صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق الكريم فهل بعد هذا كرم يصدر من مخلوق وهل وراء هذا الايثار ايثار ولقد وصف الله الانصار فى كتابه العزيز بصفة الايثار فى قوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » وهذه الصفة الكريمة التى اتصفوا بها اسوتهم فيها وفى غيرها من مكارم الاخلاق سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام يقول سبحانه : لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » ولما رجع من حنين التف حوله الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبى صلى الله عليه وسلم وقال اعطونى ردائى فلو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولاكذابا ولاجبانا .. »

**وجوده صلى الله عليه وسلم فى العطاء لبعض الناس انما هو لتاليفهم على الاسلام فكثيرا ما كان يخص حديثى العهد بالاسلام بوافر العطاء دون من تمكن الايمان فى نفوسهم ففى غزوة حنين اعطى اكابر قريش المئات من الابل ومنهم صفوان بن امية فقد روى مسلم فى صحيحه انه قال لقد اعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطانى وانه لأبغض الناس الى فما برح يعطينى حتى انه من احب الناس الى ، وروى ايضا عن انس رضى الله عنه قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا الا اعطاه ولقد جاءه رج لفأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخشى الفقر وان كان الرجل ليسلم ما يريد الا الدنيا فما يلبث الا يسيرا حتى يكون الاسلام احب اليه من الدنيا وما عليها ، اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل تلك الغنم الكثيرة التى لكثرتها ملأت ما بين جبلين وماذا كانت نتيجة هذا الاعطاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كانت حصول الغرض الذى من اجله اعطاه وهى انه اصبح داعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان بدافع من نفسه رسولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه يدعوهم الى الاسلام ويبين لهم كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه يعطى عطاء من لايخشى الفقر وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبذل المال فى سبيل نصرة الاسلام والدعوة اليه والترغيب فيه ينفق مال الله الذى آتاه فى سبيل الله حتى توفاه الله ودرعه مرهونة فى دين عليه صلوات الله وسلامه عليه .**



Made With Pdf Office